

النشاط الثقافي في العالم

اذكركم

رسالة لندن من شفيق مفسار

في الحب والحرب وازمة الامم

عشت وسلمت يا مصر . اذكرك ، والقلب يتقد شوقا اليك ، في مثل هذه الايام من عام ماضي ، قبل ان يتكاثروا عليك ، وقد فتحت عينيك ، برقم كل شيء ، ورفعت رأسك لحظة ، فقلبت الدنيا رأسا على عقب ، يا ام الدنيا ، يا حبيبة .

ولم تنسى دائما من انت ؟ لم تنسى انك مصر فيكاد يحاصرنا الياس من كل جانب ؟ من الذي فضل بنا هذا ؟ لم لا نذكرك الا ووجهك جريح ورأسك منكس وعينيك القدامى ينتهكون أرضك ؟ لم ، وانت انت مصر وستظلين ابدا . هزة غضب قصيرة واحدة من قبضتك ، في وجه عالم متواطئ عليك ، واذا بمصائر الامم تتراجع في الميزان . غيرت كل شيء ، وقلبت كل الموازين . والله هم لا يضيعون عليك الخيال ويفسوتك بحقدهم الا لانهم يعرفون ، ربما باكثر مما تعرف نحن احيانا ، ما الذي يمكن ان نطفيه لو تركت لتحتفي مصيرك . كم يوما قائلت منذ عام يا مصر ؟ وما هي اعزى امم العالم واغناها واشدها بأسا ما زالت من يوم قتلتك تلعق جراحها ، وتحاول ان تستعيد توازنها فيفضل اكثر . فمعركتك كانت في صحرائك ، لكنها ، لانك مصر ، بات العالم كله ساحة لها .

انصرفين ما فعلت بهم يا مصر ؟ هذه ليست لهاويم ابن عاشق لك مؤمن بك اذار راسه في القرية الكالحة الباردة حين لا عجز لوجهك الصبوح . انظري اليهم وانت رابضة صامتة لا تفصحين كآبي الهول في صحرائك ، وهم يدورون حول انفسهم كوحوش جريئة ترمجر وتحاول ان توقف نرف دم حياتها الذي لا ينقطع .

اذكرك وانا اتسكع في تلك الليلة التي لا تنسى من رمضان الثالث ، بازفة الحسين ، لا اكاد اصدق ، وكلنا ما زلنا منومين ، لا نحس بعد ذلك انبغى الذي ما لبث ان زلزل الدنيا ، وقد بدأ يدق في عروقك . سمعنا في تلك الليلة تنسائل في اعماق قلوبنا : « احقا ، يا مصر ؟ » وسمعت عبدا من عبيدك القدامى ينطق بلسان امانيهم منذ شعور ويقول : « لقد نمت مصر » . وكم يحبون لو نمت بحق . فهل انت نمت يا مصر ؟ لكنك ، منذ فجر الزمان ، كنت هدفا دائما لقتلهم وخوفهم وغارات حقدهم . منذ قديم وهم يعلمون بمصرتك . فمن الذي ظل يصحو لهم على مر العصور كمارد ويسقطهم ، كل الغزاة وسابغة الزمان ؟ ومن الذي عاد ففضل بهم هذا كله الآن ؟ . انت . وانت لم تكادي تتملطين . انظري اليهم يا مصر ، ممذبيك وكارهيك وطالبي موتك ، الذين طال عذابك على ايدي مقتهم وخوفهم من يفتلتك . انظري اليهم جيدا ، واصفي الي ما يقولون . انهم لا يكرهون الاك . لانهم يعرفونك . كم مرة حاولوا ان يجهزوا عليك ؟ كم مرة يا مصر ؟ وهم سلاح استخدموا فعلا ؟ وهم سلاح اكتروا عليك ؟

انظري اليهم والتي افيهم بسخطك . اللهم لا شفاعة ، بل بقلعة صعودة اطول . وانظري فقط ما فعلته بهم صخوة لكك قصيرة لم تدم

في حساب الزمان الا لحظة . نهرك الهادر الجاش التخت ارضي المتدفق ابدا ، لا تطسه اقدام الغزاة او الطفاة ، الذي ظل يتفجر كبركان على مر العصور ، بغثة ، بعد ان يكون الكل قد آمنوا انك هجمت وتمت ونمت ، لا تنفي اعدائك يقطعون الطريق عليه ويحولونه الى مفاضة لاقامهم الدنيا . دعيه يتدفق وينفجر يا مصر ، ويحتاج في طريقه كل ركاب واوساخ القرون التي خلفتها الصباع والكلاب على دروبك ، وانظري اليهم اليوم ، واسمعي ما يقولون عما فعلته بهم ، اولئك الامعاء الذين اكتروا عبيدك القدامى عليك :

« انقضى اليوم عام منذ نشبت الحرب الرابعة بين العسرب واسرائيل . وذلك حدث تعاقمت - بدلا من ان تتفائل - بقرورالوقت ، ابعاده . ويندو من الان ان عام ١٩٧٢ سيذكره الخلف كتاريخ من التواريخ الرئيسية في القرن العشرين ، القرن الذي بلغت فيه سيطرة الشعوب ذات الاصل الاوربي على العالم ثروتها ثم بدأت متناحداها السريع العاد .»

(التناحية التايمز ٧ اكتوبر ١٩٧٤ ، بعنوان « بعد عام من حرب يوم الغفران »)

« كانت اخر ذروة بلغها الاقتصاد العالمي في النصف الاخير من سنة ١٩٧٢ . فالازدهار العظيم (للدول الصناعية) كثير وتكظم بحرب اكتوبر » .

(التايمز ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤)

« منذ اخر عرض لعالة الاقتصاد العالمي ، في الشهر الماضي ، تغير الموقف الاقتصادي .. الى الاسوأ ، بالنسبة للنشاط الاقتصادي العام ، بل وجنح الى الركود والتدهور . فالبطالة ، وان لم تكن قد وصلت بعد الى درجة تثير الذعر ، تتزايد بلا هوادة من يوم الى يوم ، خاصة في المانيا الغربية . ويحدث هذا التغير في الموقف العام ، تجدد الحديث حول الكساد العالمي والانحسار الاقتصادي الذي بدأت علاماته المبكرة تشاهد بوضوح ، خاصة في الولايات المتحدة الاميركية » .

(يوروبا ١ - ١٠ - ١٩٧٤)

« وجهه المستر دنيس هيلي ، وزير الطرقات البريطاني ، تحذيرا باعثة على اشد الانزعاج الى العالم امس من خطر تكرار كارثة ١٩٢٠ الاقتصادية ، وذلك في الكلمة التي القاها باجتماع صندوق النقد الدولي بواشنطن » .

(التايمز ٢ اكتوبر ١٩٧٤)

« الواقع ان الترشورات الانتخابية للحزاب البريطانية في الحملة الانتخابية الراهنة ، والمحاولات الملولة لتفسير مضامينها وشرحها للتأخيين ، تترك انطباعا بان القادة السياسيين انفسهم لا يقولون ذهولا وارتابا ازاء الحالة الاقتصادية الراهنة من جمهور الناخبين ذاته » .

(الفايينشال تايمز ٢ اكتوبر ١٩٧٤)

« قبل ايام قليلة من اجتماع كبار رجال الصناعة الفرنسية بمدينة ليل في مؤتمرهم السنوي ، اعلنت الحكومة الفرنسية في تقرير رسمي ان حالات الافلاس في منطقة باريس ، بين المؤسسات الصناعية ، قد ازدادت بنسبة ٥٤ بالمئة خلال الشهر الماضي الماضية ... وفي فرنسا كلها ، ارتفع عدد الشركات التي باتت في حاجة الى هون مالي من الحكومة من ١٦٠٠ شركة الى ٣١٢٠ شركة » .

(الفايينشال تايمز ٢ اكتوبر ١٩٧٤)

لك من اعماق القلب ولكل ابن من ابناك مات او جرح او عرض حياته للخطر من اجلك .

عن بحر المال العربي والاعلام العربي الأبيكم

لا تكاد تفتح صحيفة او مجلة مما يصدر في الغرب في الاونة الاخيرة الا وتجد حديثا لا ينقطع عن « فائض اموال النفط العربية الذي يحتاج الغرب كالتوفان » .

ويقوم الاسرائيليون الدنيا ويقدمونها حول ذلك الخطر الداهم الذي يهدد « الديموقراطيات » الغربية في اعز ما لديها . واعز ما لديها هو السيطرة الحاكمة الخائفة لرأس المال الصهيوني الذي بدأ يحس ذعرا حقيقيا من « منافسة » رأس المال العربي الباحث عن سوق استثمارات ، والباحث عن اشياء اخرى ايضا غير الاستثمارات واسعار الفائدة والضمانات والتعهدات ضد تآكل قيمته الحقيقية بفعل التضخم الصاري المستشري في الغرب .

ومنذ شهر او اكثر ، نشر هذا الكلام في الغرب : « ستتحقق البلدان العربية المنتجة للنفط دخولا تبلغ ١٠٠ بليون دولار (اي حوالي ١٦٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية) هذا العام . وسوف يتدفق الجانب الاكبر من تلك الاموال على سوق الاستثمارات الغربية . وسيستجج جزء لا يستهان به منها الى الولايات المتحدة بالذات . ولقد بدأ ذلك يشير نقاشا حادا في الولايات المتحدة حول قدرة اميركا على استيعاب ذلك المال العربي المتدفق دون ان تفقد سيطرتها على صناعاتها لتنتقل تلك السيطرة الى ايدي العرب . وتقوم اللجنة الاميركية اليهودية بمناقشة تلك القضية من واقع بحث مقدم لها عنوانه : « الاستثمارات العربية : تهديد ام منفعة للغرب ؟ » . لانه ان كانت الفوائض النفطية قد زودت العرب بسلاح عسكري وسياسي فعال ضد اسرائيل في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، فما الذي لا تستطيع تلك الفوائض ان تحققة للعرب مستقبلا ؟ وتبين ابحاث اللجنة ان الاموال العربية قد توصلت حتى الان الى غزو السوق العقارية ، والبنوك ، والصناعة ، في الولايات المتحدة الاميركية » .

وفي بريطانيا مؤخرا اشترت الكويت مجموعة من الشركات البريطانية في صفقة بلغت قيمتها حوالي ١٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية ، فخرجت الصحف على قرائها بذلك النبا بالصورة التالية : « العرب يخطفون ما قيمته ١٠٠ مليون من اقتصادنا » . وتطالعتنا الصحف كل صباح بانباء المال العربي المتدفق لينتقد البلدان الصناعية من محتتها الاقتصادية ، واقرب ما تعب الذاكسيرة القرض السعودي الى اليابان وقد وصل الى ١٠٠٠ مليون من الدولارات .

ورغم ذلك كله ، ورغم ما اعترفت به الصحف البريطانية صباح ٢ اغسطس الماضي من ان الفضل في ايقاف التدهور الخطير في احتياطات المملكة المتحدة وتحقيق الاستقرار النسبي لسعر العملة بها راجع الى الابداعات الضخمة للبلدان العربية المنتجة للنفط في البنوك البريطانية .

ورغم ان ضخ دم الحياة في شرايين الاقتصاد الاميركي والصناعة البريطانية والاميركية الذي اعتبرته اللجنة اليهودية « خطرا يهدد الغرب » - يساعد ذلك الاقتصاد وتلك الصناعة في الواقع على ازويد اسرائيل بمزيد من السلاح ومزيد من الدعم الاقتصادي والمالي والعسكري .

ورغم ان القروض التي طالبت اسرائيل بلدان السوق الأوروبية السماح لها باقتراضها من مؤسسات السوق المالية كبنك الاستثمار الاوروبي لم تكن لتصبح ممكنة على ضوء ازمة الغرب الاقتصادية (الراهنة) لولا بحر المال العربي المتدفق على الغرب هذا . ورغم ما نعرفه ، نحن العرب ، او رغم ما قللنا تكرره حتى اقتنعنا

« التي افلاس احدى شركات الانشاءات الكبرى بالمانيا الغربية من خصوم قدرها ١٢٠ مليون مارك الماني ، ضوءا مزعجا على نقشي حالات الافلاس بين الشركات الالمانية المشتغلة بصناعة البناء والانشاءات والتي افلس منها خلال النصف الاول من هذا العام عدد ضخم وصل الى ٤٨٨ شركة (يخشى ان يرتفع الى ١٠٠٠ شركة قبل نهاية هذا العام » . (الفايينشال تايمز ٤ اكتوبر ١٩٧٤)

« حققت المانيا الغربية وثبة مزعجة في المعجز بميزان مدفوعاتها الذي وصل الى ٢٠٣٠ مليون مارك الماني في اغسطس ١٩٧٤ . ويقول تقرير « البانزبنك » الذي نشر اليوم ان المعجز وصل بذلك الى ثلاثة اضعاف ما كان عليه في يوليو الماضي » . (الفايينشال تايمز ٣ اكتوبر ١٩٧٤)

« رغم التحسن الطفيف في موقف بريطانيا بالنسبة للمعجز بميزان مدفوعاتها (اذ لم يزد الا بحوالي ٥٧ مليوناً من الجنيهات الاسترلينية فيما بين اغسطس وسبتمبر ١٩٧٤) فان حكومة العمال التي اعيد انتخابها تذهب الى مقاعد الحكم وهي مواجهة بحقيقة تجعل المرء يفوق من اي وهم ، وهي ان الحساب الجاري لميزان المدفوعات البريطاني ما زال يعاني من عجز خطير وصل رقم معدله السنوي في الربع الثالث من هذا العام (يوليو الى سبتمبر ٧٤) الى حوالي ٣٥٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية » .

(الفايينشال تايمز ١٢ اكتوبر ١٩٧٤)

« سببت اسرائيل حرجا بالغا للسوق الأوروبية المشتركة عندما فاجت بلدان السوق بطلب تضمين « اتفاقية التبادل التجاري الحر » التي يجري التفاوض حول شروطها حاليا ، بنودا تقضي بتقديم مونات مالية الى اسرائيل . فقد اوضح الاسرائيليون ان المعجز في ميزان مدفوعاتهم يحتمل ان يصل الى ١٥٠٠ مليون من الدولارات هذا العام ، وطالبا ، لذلك ، بالسماح لهم بالحصول على قروض من مؤسسات السوق المالية « كبنك الاستثمار الاوروبي » . « ويصر الاسرائيليون على ان وضعهم المالي والاقتصادي تدهور بشكل خطير منذ حرب اكتوبر ، بينما تحسن وضع العرب تحسنا ضخما » .

(الفايينشال تايمز ٨ اكتوبر ١٩٧٤)

ومنذ شهور قليلة اشرفت ايطاليا على الافلاس ، وما زالت مهددة به ، ويقدر المعجز الذي ستحققه في حسابها الجاري حتى اخر هذا العام بما يصل الى ٥٥٠٠ مليون من الدولارات .

(الصحف البريطانية ١٢ و ١٣ يونيو ١٩٧٤)

وفرنسا وصل المعجز في حسابها الجاري حتى شهر مايو الماضي ٨٠٠٠ مليون فرنك ، واعلن رئيس جمهوريتها الجديد برنامجا صارما للتخفيف استهل عهده به . ويمثل ذلك كله نكسة خطيرة للاقتصاد الفرنسي ، بعد ان ظل ميزان المدفوعات الفرنسي يحقق فائضا طوال سنة ١٩٧٣ .

(الصحف البريطانية ١٤ يونيو ١٩٧٤)

وازاء ذلك كله يتتابع اشهار افلاس البنوك في الغرب . وقد استهلها بنك هيرستات الالمانى ، وفي اعقابها البنك البريطاني الاسرائيلي بلندن ، بفضيحة مدوية ، والان بنك فرانكلين الاميركي . وهو من كبريات البنوك بالولايات المتحدة ، وبنك الائتمان الدولي السويسري . كما تعرضت بنوك اخرى بريطانية واميركية والمانية لهزات خطيرة . وحتى شركات الطيران الكبرى الاميركية بدأت تواجه بدايات الافلاس وتحاول ان تنقذ نفسها بالاندماج .

وهذه كلها شذرات متفرقة ، وقطرة في بحر متلاطم مصطبج اجاج .

ومن الذي صحا وتصدى وايقتف وقاد وعرمى صدره للمهالك وفقد الآلاف من اعز ابناؤه ؟ انت يا مصر . عشت وسلمت وانتمرت . تحية

به ، من ان السيطرة الصهيونية الخائفة على العقول والضمائر والافواه والاقلام في الغرب راجعة الى قوة راس المال الصهيوني وتحكمه في اقتصاديات بلدان الغرب وتداخل مصالحه مع مصالح تلك البلدان .

رغم ذلك كله ، ورغم هذا الدور الخطير الذي بات راس المال العربي يلعبه في انعاش اقتصاديات الغرب و«رد الروح» اليها، كما نقول في مصر ، فان قولك «الشرق الاوسط» في اوروبا ، ما زال معناه (ومعذرة فالحقيقة تجرح) «مياة العالم».. باستثناء اسرائيل بطبيعة الحال . عندما يقدم اوروبي عربيا الى اوروبي اخر، يقول ، بتلك اللهجة المعينة ، وهو يتلاعب بملامح وجهه :« السيد فلان . من .. من .. من الشرق الاوسط» . بل ربما ساءت مضامين «الشرق الاوسط» هذه عن قبل . اما قولك «عربي» ، فحدث عما تعنيه بها ولا حرج . ومعذرة مرة اخرى ، فذلك هو الواقع . والواقع هو ان العرب (رغم كل اموالهم المتدفقة على الغرب ورغم «تعاونهم») مهجرة ماثوهم ، مهجرة كرامتهم ، ومهجرة آدميتهم ذاتها ، في الغرب . فهم صيد خلال مباح ، ابتداء من ثروة المقاهي والخمارات ، الى اقوال الصحف ، وعروض التلفزيون ، واطلام السينما .

ويمكنك ، ان كنت قادرا على التمتع بشيء من البرود ، ان تجلس امام التلفزيون الانجليزي لتتعلم منه خلال بضعة ساعات ان الذي بنى الهرم الاكبر مهندس يهودي اسير عند خوفه وان اسهام مصر الوحيد في بناء الهرم كان عمل الملايين من عمال السفرة والصخور والرمال، وان العرب هم الذين كانوا (وما زالوا حتى الان) يقومون بغارات وحشية بربرية على الزوج المسكين في افريقيا لبيعهم عبدا في اسواق النخاسة ، وان الاوروبيين البيض ، ابتداء من طرزان يهودي الملاح ، الى جنرال انجليزي ، هم الذين قاتلوا دفاعا عن السود لئلا ياسرهم «العرب المتوحشون» ويرسلوهم الى اميركا ربما . فالعربي، باختصار ، هو شرير الحلقة . بصورة مستمرة . وهو - معذرة ، لا تفضبوا ، فهكذا تصور هنا - «فشاش ولص وشهواني ومتوحش وافاق ومتاخر ولا قيم ولا اخلاق لديه ولو ترك وشأنه لمات فسادا في العالم بحق» .

وتراوح الحملة بين السخف والاسفاف الرخيص (الذي يؤثر، للاسف ، تأثيرا عميقا وباقيا في عقل وقلب الاوروبي العادي) الى الاستاذية في التصميم والاخراج والعرض والاداء . وحتى غارات الفانتوم على الضحايا البشرية نصف القتولة في مخيمات اللاجئين بجنوب لبنان ، تصور بصورة «البطولة الخارقة» ، خدمة للقيم الانسانية العليا» .

فما الذي يفعله بحر المال العربي المتدفق على الغرب ، ازاء كل ذلك ؟ والسؤال مطروح من منطلق القول بان الاسرائيليين توصلوا الى تحقيق سيطرتهم الاعلامية والفكرية من خلال اموالهم الكثيرة فيسي الغرب .

يبدو ان راس المال العربي المتدفق على الغرب لا يعنيه شيء من هذا في قليل او كثير . رغم ان مثل هذا القسل المستمر لامخاخ السادة الغربيين يمكن ان يضر براس المال العربي ، اذ يهيء الاذهان للموافقة على مصادره او تجميده في وقت من الاوقات ، لا قدر الله . اليس مال «اولئك العرب» الاين «من الشرق الاوسط» ؟

والاعلام الوحيد الذي يسهم فيه راس المال العربي لخدمة لقفية البقاء او الفناء العربية هو ما يتبجح - مثلا - لصاحب سلسلة نوادي «بلاي بوي» من ان يقول (كما قال منذ ايام في التلفزيون البريطاني): «وما لكم تتعاملون علينا هكذا ؟ اننا نعمل في خدمة الاقتصاد الغربي، ونسترد لكم بعض ما يأخذه العرب منكم عنوة ثمننا للنفط . في الليلة الماضية فقط خسر احد اولئك العرب على مائة اللعب بنادي بلاي بوي نصف مليون جنيه . اليس ذلك مكسبا لنا نحن المتحضرين ؟ » او ما يتبجح ، ذلك البحر ، لصحيفة كالجارديان ، لان تقول ، بطول

نهر كامل على صدر صفحتها الاولى يوم 14 اكتوبر 1974 : «تسحيم عجالات القمار» بقلم بول ويستر ، مراسل الجارديان بباريس : «خسر العرب اول معركة يخسرونها في «حملة دولارات النفط الكبرى» ! ولقد منى العرب بتلك الهزيمة على موائد السروليت بكازينو مونت كارلو للقمار في ختام اغرب موسم للعب شهدته الريفيرا . «وقد وصف احد العاملين بالكازينو اولئك العرب بقوله انهم «يلعبون بشراسة» ، رغم ان ما انصب في جيبه من عطاياهم جعل ذلك الموسم افضل مائة مرة من اي موسم مر به في حياته . «واضاف قائلا : «لم يكونوا يريدون ان يكسروا البنك فقط . كانوا يريدون ان يكسروا الكازينو ايضا !» «ولعلمهم كانوا سيقدرون حقا على تحقيق هدفهم وكسر الكازينو حقا ، لو لم يكونوا قد نسوا اهم قاعدة من قواعد مونت كارلو: الذوق السليم .

«وعندما اجتاحوا مونت كارلو بقوافل سيارات الرولز رويس والكاديلاك والمرسيدس ، كانوا قد ذهبوا فجربوا حظهم اولا في (كان)، لكنهم لم يظفوا بها طويلا لان القوانين الفرنسية تعد المراهنة بمئة وخمسين جنيتها استرلينا تقريبا، فشدوا الرحال الى مونت كارلو . «وهناك لتقا ترحيبا عظيما ، فهونت كارلو تضع قواعدهما وحدودها الخاصة بها . وهكذا قبل الكازينو ان يظل مفتوحا طول الليل وان يقبل المراهنات بما يصل الى 800 جنيه استرليني في المسرة الواحدة (اربعة اضعاف الحد العادي) ارضاء لاولئك العرب . او ان الكازينو فعل ذلك حتى اكتشف ان اولئك العرب كسبوا منه في ليلة واحدة 120 الفا من الجنيهات الاسترلينية .

«وعند ذلك الحد بدأ الكازينو يحس بالتوتر العصبي . فلقد بين التاريخ ان هناك حدا لما في جيب اي امرئ وحدا لما تحتلمه اعصابه . لكن ذلك لم يكن ينطبق على اولئك العرب .

«ولقد وجد الكازينو «حلفاء مخلصين» في زبائنه العاديين من اللوردات الانجليز ، والمهرجات الهنود ، واصحاب الملايين الاميركان، واصحاب الناجم في اميركا اللاتينية الذين اثار فيظلم اعطاء اولئك العرب البقشيش للنادل بواقع 50 جنيه استرلينا في المرة الواحدة ! او الاف الجنيهات للعاملين على موائد القمار . فقد اعتبر ذلك التصرف من جانب اولئك العرب عملا من اعمال محدثي النعمة الذين اخرجوا الزبائن العاديين «ممن لا تمكنهم مواردهم» الا بالمراهنة في حدود 50 جنيه في المرة .

«وهكذا التقت مصالح الكازينو ومصالح اللوردات والمهرجات واصحاب الملايين والنجوم (المتحضرين) واعلان الكازينو انه ، تحت الحاح زبائنه ، قد قرر ايقاف الاستثناءات الممنوحة لاولئك العرب . وقد تمكن الكازينو من استعادة معظم خسائره وقلل كثيرا من اعداد اولئك العرب الذين اقتحموه» .

والقصة قيمية وزرية من الجانبين كما ترى . فالكتاب المنفصل المحتد بلاهة (واسوأ منه الصحيفة التي تدعي انها تراس الليبرالية والمدعين المهلب التي سمحت له ان يقوى هذه البلاهات على صفحتها الاولى) تقول ان الكاتب وصحيفته لم يظفنا (تحت وطأة الحقد على «اولئك العرب») الى انهما اشبه بمن يقف على ناب ماخور وتظاهر بالانفعال من اجل الفضلة . والصحيفة السراية تدافع عن وكر من اوكر اللصوص بل وتقول بجديرة مطلق ان «ناظقا باسم الشركة صاحبة الكازينو صرح بان العرب كانوا يلعبون بدوافع سياسية !» لكن ذلك ليس بغرب من صحيفة تتفنى بامجاد «نصور الجو الاسرائيليين فوق جنوب لبنان» .

والاقبح والاشد بذاءة من الكاتب وصحيفته ومهرجاته وشركته وموائد قماره ، السادة الاماجد العرب الذين ذهبوا يمشرون المال على اولئك البغايا ، وشعوبهم تموت جوعا وجهلا . لكن الذي تريد ان تبرزه

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ج. م. ع.

شعرها (1) او عن القاهرة ورغبتهم في « اداء الاذان من فوق اعلى مثلثة » (2) فان احدا لن يوفي هؤلاء الرجال حقهم من التمجيد. فالكلمات صادقة او كاذبة - لا يمكن ان تساوي هدايا الدماء والاعمار التي بذلها الجنود لوطنهم تحت رايات القيم التي حاربوا من اجلها .

ولكننا نريد هنا ان نتحدث عن حرب اكتوبر حديثا اخر وفي « سياق » مختلف . لا ننوي في حديثنا هذا ان نقيم الشعراء - الصادقين منهم ولا الكاذبين - ولن نحاول ان ننافسهم فتحدث كما كان يكتب الاستاذ موسى صبري في جريدة الاخبار القاهرية قبل عام مضى من « الارتماشة التي تصيب » ما لا اعرف من الكيان كلما حاول ان يخط بقلمه عبارة « 6 اكتوبر » .

انما ببساطة نريد ان نسأل : ما الذي صنعه « 6 اكتوبر » في ثقافتنا ؟ وعلما ان انخلت من المسرح المصري مجالا استمد منه الامثلة التي يمكن ان نستقريء منها وفيها تأثير هذه الحلقة الساخنة من

(1) هذه الرغبات الغريبة وغيرها (مثل الرغبة في مضاجعة المدينة) تجدها في قصيدة لنزار قباني نشرتها مجلة الاسبوع العربي في احد اعدادها السابقة ، وقد تصلح هذه القصيدة لدراسة سيكوبائية نموذجية (يلاحظ فيها مثلا تكرار كلمة « امي » ، « خديني » .. الخ) بقدر ما تصلح للتعبير عن الغيبة الكاملة التي وصلتها الحركة الرومانتيكية في الشعر العربي الحديث ، بعد ان اصبحت « الحوادث » شعرا تفوق قيمته (كحقيقة) قيمة اي صور مختلفة او مسروقة من شعراء اخرين .

(2) للشاعر المصري صالح جودت من قصيدة نشرها في الهلال .

الاشتباه مع ذلك الاعلام ومطايه في معركة حقيقية ، معركة حياة او موت فكري واخلاقي ، ههنا اظهار الحق العربي الذي يشوه في كل لحظة ويصور على انه « بفسى وافشاش » ، وابرار صورة الانسان العربي الذي يشوه في كل لحظة ويرسخ في الالهان انه « وحش متبربر ولا ينتمي الى فصيلة الادميين » .

وقديما ، عندما كان احد يتسائل : لم لا يحاول العرب - من خلال الاعلام المتقدم المستنير - ان يعرضوا قسيتهم ؟ ، كان يقال له باتسامه مهمومة : اه ! ما باليد حيلة يا بني. راس المال الصهيوني ! . ورأس المال الصهيوني ما زال هناك ، وفي اشد حالات الضراوة ، لانه لم يصد يدافع عن حلم السيطرة على العالم من خلال الحركة الصهيونية والدولة اليهودية فحسب ، بل وبات يدافع عن بقاءه ايضا . لكنه لم يصد وحده في الساحة الدولية ، والعرب لم يعودوا عزلا من سلاح المال . فهناك بحر المال العربي ، فقط لو لم يسكب في بنوك القرب بلا مقابل الا فائدة هزيلة ، او في مصانع اميركا ليحول صناعة السلاح التي تدعم اسرائيل ، او في مواخير باريس وعلى موائد القمار بمونت كارلو .

اليقوا قبل ان يجهزوا عليكم . انطقسوا وخطبوا العالم قبل ان يقتلوكم .

ومعدلة للاداب وقراد الاداب ، لانه لم يكن في القلب او في الراس متسبع هذا الشهر لتتحدث عن نشاط « اخوتنا البشر » الغربيين في مسرح او سينما او رواية او شعر . فذكرى اللين ماتوا وروت دماؤهم ارض سيناء والجولان تفجرت في القلب وهدرت في البراس ولم تدع امام العينين الا صور وجوههم ودمائهم واجسادهم التي تثاربت اسلاد و « اثينا » من وراء تصحيتها .

لندن

رسالة القاهرة من سامي خشبة
ماذا فعل 6 اكتوبر في ثقافتنا ؟
او : هل تصنع الحرب ثقافة جديدة ؟

هل هناك من يشك في عظمة التفجيات وضخامة الجهود التي بذلها جنود مصر و جنود سوريا ورجال المقاومة الفلسطينية ، ومهمم كتائب من اقطار عربية كثيرة (من العراق حتى الكويت ، ومن الجزائر حتى المغرب ، ومن اليمن الديمقراطية حتى السودان) على الجبهتين في حرب اكتوبر ٧٣ ؟ لقد بلل الرجال دماهم وحياة كل منهم رخيصة من اجل الوطن والحرية والتقدم ، وانتصروا حاملين رايات هذه المعاني ، وحاملين ايضا رايات الايمان بالله او بالمسيح بالمعنى الذي يفهمه الانسان السوي البسيط لهذا الايمان : ان الله يقف - بداعة - الى جانب الحق والعدل ، والى جانب الحرية والتقدم ، ولا يقف ضدهما : انه فقط ينتظر حتى يقف اصحاب هذا الحق الى جانب حكمهم لكي يقف هو الى جانبهم . وقد حارب هؤلاء الرجال ، وبذلوا دماهم وسنوات اعمارهم وصباهم ، او بذلوا حياتهم نفسها ، بنفس الشجاعة والاستعداد للتضحية ، بصرف النظر عن اصولهم الطليعية او عن النظر الذي جاؤوا منه ونظامه السياسي او الاجتماعي .

ومهما كتب الشعراء الصادقون عن بطولات الرجال ، او الشعراء الكاذبون تجار هزائم الامة وجراحها وتجاز « الانتصار » من شقهم للمشرق ورغبتهم في ان يعلووا فنون المشق اذا وضعتهم كالمشط في

هنا ان ذلك هو الاعلام الوحيد الذي نمارسه بين هؤلاء الناس . والواضح طبعا ان كاتب الكلام الذي نشرته الجارديان الفراء يهودي او مستخدم لدى جهاز ما من اجهزة الدعاية اليهودية التي خصصت لتتبع العرب واقتناص فضائهم في القرب ، ابتداء من الطالب الجامعي الذي ياتي الى لندن ليضبط وهو يسرق خرقة من دكان ، الى الامير عظيم الشأن الذي يذهب الى مونت كارلو ليقامر باموال شبيه الى ان يتكاتف عليه زبانية عصابت القمار ونفايات الانسانية التي تتحلل على مهل في تلك المواخير تحت اسماء لامعة عدتها الصحف المتحضرة ، وبلقون به خارجا كاللطيغ فير الرغوب فيه حتى وان كان عنده مال قارون . وربما لو كان سموه قد اشترى بما ضلعه في جيب مستخدم الكازينو الذي وصفه بانسه « يلعب بشراسة مسعورة » ، صندوقا من السلاح او الذخيرة لن يقاوتون من اجل بقاء العرب لما كان احد من تلك النقابة قد جرؤ على ان يلقي به خارجا .

ولو كان لدينا متخصصون في الاعلام بحق من جماعات العسم اليكم والفحول المدلاة الستتهم وهم يلهثون وراء الاعجاز الننتة ننتن الراحيفى العامة فى شوارع المدن الاوربية ، لكان التخصصيون قد وجدوا فى هذه اللامعة التي تورطت فى نشرها الجارديان ، وعشرات بل مئات البلاغات المثيلة التي لا تكف صحف القرب من نشرها ، مادة حية دسمة للفصح هذه الصحافة امام قرائها وتشيك اولئك القراء فى قيمة معظم ما تقدمه لهم من خبر وراي .

والواقع ان هناك مجالا - لو كان لدينا اعلام عربي حقا - لتشكيل اجهزة تكون مهمتها تعقب ما تنشره تلك الصحف ووسائل الاعلام من اخبار وتطلعات ، تماما كما يتعقب اليهود فصالح صفار النفوس من العرب .

وهناك مجال للاعلام العربي - ان وجد - للاشتباه مع اعلام العدو وما يمتطيه من ارقام والسنة دعوى التحضر والتقدم فى القرب ،